

حقوق المواطنة في نهج البلاغة بالاستناد إلى الخطبة ٢١٦

علي رضا پورباقرانی*

تأريخ القبول: ١٤٤٣/٠١/٢٤

تأريخ الاستلام: ١٤٤٢/٠٥/٢٣

أستاذ مساعد في الفقه وأصول الشريعة الإسلامية، جامعة بيام نور، تهران، إيران

Citizenship rights in Nahj-ul-Balaghabased on sermon 216

Alireza Pourbafrani*

Received: 2021/01/07

Accepted: 2021/09/02

Assistant Professor of Jurisprudence and Fundamentals of Islamic Law, Payame Noor University, Tehran, Iran

10.30473/ANB.2022.56056.1238

Abstract

In this study, which is based on a descriptive and analytical method, citizenship rights are a mix of duties and responsibilities of citizens toward one another, the city and the government or the ruling forces, as well as the rights and privileges that are the responsibility of city managers, government or in general the ruling forces. According to the teachings of Nahj al-Balaghah, the rights of the ruler or the government and the citizens are mutual. In the Constitution of the Islamic Republic of Iran the rights of the nation are mentioned in 23 principles in which citizenship rights are considered by the legislator, and are divided into three categories: Civil and political rights- Economic, social and cultural rights- Judicial rights. The most important examples of these rights are based on the words of Imam Ali PBUH which can be used to determine the right to self-determination, political freedom, loyalty to the ruler as examples of civil and political rights and justice, education and attention to education as examples of economic, social and cultural rights. In the field of judicial law, the ruler must take action to enforce the rights of citizens by creating sound courts and take the necessary measures to establish the divine limits. Observance of civil rights can lead to the dignity and power of the Islamic system, the creation of justice in society, and so on and non-observance of the mentioned rights can have harmful effects.

Keywords: Citizenship Rights, Citizens, Government, Imam Ali PBUH, Nahj al-Balaghah.

الملخص

هذه الدراسة، التي أجريت بالمنهج الوصفي التحليلي، تعد حقوق المواطنة مزيجًا من واجبات ومسؤوليات المواطنين تجاه بعضهم البعض، والمدينة والحكومة أو السلطات الحاكمة، بالإضافة إلى الحقوق والامتيازات التي تقع على عاتق مديري المدينة أو الحكومة أو السلطات الحاكمة بشكل عام. وبموجب تعاليم نهج البلاغة، فإن حقوق الحاكم أو الحكومة والمواطنين متبادلة. في دستور جمهورية إيران الإسلامية، تم ذكر حقوق الشعب في ٢٣ أصلًا، حيث ينظر المشرع في حقوق المواطنة. تنقسم هذه الحقوق إلى ثلاث فئات: الحقوق المدنية والسياسية - الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية - الحقوق القضائية، حيث تمت الإشارة إلى أهم الأمثلة عليها بالاستناد إلى أقوال الإمام علي (ع) ومنها حق تقرير المصير والحرية السياسية والولاء للحاكم كأمثلة على الحقوق المدنية والسياسية وتطبيق العدالة والتنوير والاهتمام بالتعليم كأمثلة على الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. أما في مجال الحقوق القضائية، فيجب على الحاكم إنشاء محاكم سليمة لإنفاذ حقوق المواطنين واتخاذ الإجراءات اللازمة لإقامة الحدود الإلهية. يمكن أن يؤدي احترام الحقوق المدنية إلى حفظ كرامة وسلطة الحكومة الإسلامية، وإقامة العدل في المجتمع وغيرها، وعدم احترام هذه الحقوق يمكن أن يكون له آثار ضارة.

الكلمات الدلالية: حقوق المواطنة، المواطنون، الحكومة، الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة.

المقدمة

- تعتبر حقوق المواطنة من ضروريات المجتمع المدني ومن القضايا المركزية في علم القانون في العصر الحديث. تعد المواطنة من أهم المفاهيم الاجتماعية والسياسية التي ناقشها الخبراء والمفكرون في القضايا الاجتماعية منذ العصور القديمة. في السنوات الأخيرة، أصبح النقاش حول الحقوق المدنية أكثر حساسية في الأوساط العلمية والدولية. ومع ذلك، لم يكن هناك إدراك واحد لمفهوم المواطنة والحقوق الناتجة عنها، وكل مدرسة فكرية لها توجهها الخاص لديها تصور مختلف لحقوق المواطنة. لذلك، يبدو أنه من أجل التعمق والتأمل في نطاق مفهوم الحقوق المدنية من منظور المذهب الشيعي، يجب الرجوع إلى نصح البلاغة والنصوص الدينية الأصيلة الأخرى. في هذه الدراسة، تمت مناقشة حقوق المواطنة في نصح البلاغة بناءً على الخطبة ٢١٦ والتي يمكن تقسيمها إلى أربعة أجزاء مهمة مع لمحة عامة عن هذه الخطبة التي تم التعبير عنها في معركة صفين:

الجزء الأول: شرح الحقوق المتبادلة للحاكم والمواطنين وذكر القانون العام للحقوق

الجزء الثاني: شرح الحقوق المتبادلة للحكام والمواطنين بين بعضهم البعض والتأكيد على أن إصلاح الشعب لا يمكن أن يكون بدون إصلاح الحكام وإصلاح الحكام غير ممكن دون إصلاح الشعب، بمعنى أن يكون لكليهما أثر متبادل على بعضهما البعض.

الجزء الثالث: جواب الإمام عليه الصلاة والسلام على سؤال أحد أصحابه. عندما أثنى على الإمام عليه السلام وأشيد به كثيراً وأعلن له الولاء الكامل، كان عليه السلام شديد التواضع في الرد وقال: أنا لا أحب المدح والتمجيد أبداً، لأن كل عظمة هي لذات الله تعالى.

الجزء الرابع: شرح العلاقة الصحيحة بين الحكام والمواطنين والتأكيد على أن الحكام يجب أن يتجنبوا الإطراء وأن يكونوا مستعدين لسماع انتقادات النقاد حتى يتجه المجتمع نحو الخير.

تجيب الدراسة الحالية أيضاً على الأسئلة التالية:

- ما معنى المواطنة وحقوق المواطنة وما يقابلها من

مفاهيم المواطنة في نصح البلاغة؟

- تتمثل أهم الأمثلة على حقوق المواطنين في ثلاثة فئات رئيسية: ما هي الحقوق السياسية والمدنية - الاجتماعية والاقتصادية والثقافية - القضائية في نصح البلاغة؟
- ما هي اثار وفوائد مراعاة حقوق المواطنة والأضرار الناتجة من عدم مراعاة تلك الحقوق وفق الخطبة ٢١٦ من نصح البلاغة؟

مفهوم حقوق المواطنة

حقوق المواطنة تركيب إضافي يمثل فيه المكون الأول الحقوق والمكون الثاني المواطنة، وسيتم شرحها بشكل منفصل. الحقوق مجموع الحق، والحق لغة له معانٍ عديدة، منها معنى التطابق والموافقة والكينونة الثابتة والصدق وما يخالف الباطل (الجوهري، ١٤٠٧: ١٤٦/٤)، الثبوت والتحقق (ابن منظور، ١٤٠٨: ١٠/٤٩)، التميز (فراهيخته، ١٣٧٧: ٣٥٢)، قول الحق حسب الواقع (ابراهيم مصطفى وآخرون، د.ت: ١٨٧)، الباري تعالى، القرآن، الإسلام والموجود الثابت (زبيدي، ١٤٠٦: ٣١٥/٦).

في المصطلح الحقوقي، الحق هو السلطة الممنوحة للشخص بموجب القانون (جعفري لنكرودي، ١٩٨٩: ٢١٦؛ امامي، ١٣٧٤: ١٢٥/١). في تعريف آخر لمفهوم الحق، يمكن القول أنه من أجل تنظيم علاقات الناس والحفاظ على النظام في المجتمع، يتم الاعتراف لكل شخص بحقوق تجاه الآخرين ومنحه سلطات وصلاحيات خاصة، وهذه السلطات والصلاحيات يسمى الحق. (كاتوزيان، ١٣٧٥: ٢)

في الفقه الإمامي، تم التعبير عن عدة آراء حول مفهوم الحق، نذكرها باختصار:

- الرأي الشائع لدى فقهاء الشيعة هو أن الحق يعني الملكية (أنصاري، ١٤٠١: ٢٢٤/١)
- يعتبر بعض الفقهاء الشيعة، مثل المرحوم محقق يزدي، الحق مرادفاً للملكية ويعتبرونه مستوى من مستويات الملكية وأيضاً أضعف مستوى منها (يزدي، ١٩٩٩: ٥٥)

١٦٥) ولا يتحقق مفهوم المواطن بمجرد أن يجتمع البشر معاً، ولكن هذا المفهوم يتشكل في سياق إقليم معين في وقت معين وفي ظل مجتمع سياسي يتمتع بسلطة عامة. إن الأساس والأصل لظهور الحقوق والتمتع العادل بالمزايا والامتيازات الاجتماعية لأفراد المجتمع، فضلاً عن الواجبات والالتزامات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمواطنين، هو المجتمع السياسي (شريفى طرازكوهى، ١٣٩٢: ١٥٢).

بعبارة أخرى، المواطن هو شخص مرتبط بحكومة، من ناحية، ولديه حقوق سياسية ومدنية، ومن ناحية أخرى، لديه مسؤوليات تجاه الحكومة (جعفرى لنگرودى، ١٣٩٠: ١٧٢٨/٣). يطلق على هذه العلاقة اسم المواطنة. يحدد الدستور والقانون المدني للبلاد طبيعة علاقة المواطنة.

تعريف حقوق المواطنة

تعد حقوق المواطنة مزيجاً من واجبات ومسؤوليات المواطنين تجاه بعضهم البعض، والمدينة والحكومة أو السلطات الحاكمة، بالإضافة إلى الحقوق والامتيازات التي تقع على عاتق مديري المدينة أو الحكومة أو السلطات الحاكمة بشكل عام. مجموعة هذه الحقوق والمسؤوليات تسمى الحقوق المدنية (خسروى، ١٣٨٨: ٢٧).

بمعنى آخر، المواطنة مفهوم واسع نسبياً يشمل الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفردية. تنظم الحقوق العلاقة بين الشعب والحكومة والمؤسسات الحضرية وحقوقهم وواجباتهم تجاه بعضهم البعض، وهي فرع من الحقوق الأساسية في إطار دستور البلاد وتهدف إلى احترام وحماية حقوق الأفراد والإنسان في المجتمع. (كاتوزيان، ١٣٧٥: ٣٧٠) في الفصل الثالث من دستور جمهورية إيران الإسلامية، ورد ذكر ٢٣ من المبادئ المشرع فيها حقوق الأمة، مما يدل على اهتمام المشرع بالحقوق المدنية.

مفاهيم المواطنة في نهج البلاغة

في بعض خطب ورسائل وحكم نهج البلاغة، تم استخدام مفاهيم مختلفة تشير إلى مفهوم حقوق المواطنة

- يعتقد المرحوم محقق أصفهاني أن: الحق في كل حالة هو صلاحية خاصة تختلف عن معنى الحق في حالات أخرى ولا يمكن تعريفه بموجب مفاهيم عامة مثل السلطنة والملك (غروي أصفهاني، ١٤٢٥: ٤٤/١).

يعتبر الإمام الخميني (ره) الحق من فئة الملكية والسلطنة فيقول: وكما أن الملكية والسلطنة والولاية هي اعتبار من الاعتبارات العقلانية والشرعية، كذلك فإن الحق مثلها، له طبيعة اعتبارية عقلانية وشرعية. (موسوي خميني، ١٤٢١: ٣٩/١). فيقول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف الحق: «الحق اوسع الاشياء فى التواصف و اضيقها فى التناصف»، ويقصد عليه السلام بهذه العبارة هو أنه عندما يأتي الناس لوصف وتعريف لغة الحق، يكون السياق واسعاً جداً، لأنه من السهل التحدث، ولكن كلما كان بينهم حاكم صالح وعادل ويطلب منهم التصرف بالحق، يصبح المجال أمامهم ضيقاً، لأنه من الصعب عملياً الخضوع لعبء الحق والتصرف بالعدل، فهو يتطلب التخلي عن بعض رغبات القلب والأشياء التي ترضي الإنسان. (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤٣/٤؛ ابن أبي الحديد، ١٩٥٨: ٨٩/١١)

وقد فسر البعض عبارة أمير المؤمنين بالقول: «كل احد يصف الحق و العدل و يقول: لو وليت لعدلت و لكن اذا تيسر له لم يعمل بقوله و لم ينصف الناس من نفسه». (انصاريان، ١٣٦٢: ٤٤٧/٢؛ مغنيه، ١٣٥٨: ٢٦٨ / ٣؛ انصاري قمى، د.ت: ٢٠٥/٥) وذكر البعض عبارة «فالوصف سهل يسير و العمل صعب عسير» في بيان عبارة الإمام علي عليه السلام (موسوي، ١٣٧٦: ٤٩٨/٣).

المواطنة لغة واصطلاحاً

في قاموس دهخدا، كلمة «مواطن» تعني أهل مدينة أو بلد والأشخاص الذين يتعلقون بالمدينة. (دهخدا، ١٣٧٣: ذيل حرف الشين) ويشير مصطلح المواطن إلى جميع أفراد المجتمع الكبير الذين يأخذون عنوان ثقافة معينة، ومن هذا المنظور، يمكن أن يمتد لقب المواطن إلى جميع مجالات الحضارة والثقافة. (غلامى يا، ١٣٨٨:

في المجتمع الإسلامي. بعض المفاهيم المستخدمة في كل مكان في نهج البلاغة تشير إلى هؤلاء المواطنين، بما في ذلك مفاهيم «الرعية» والكلمات التي تنتمي إلى الفئة نفسها، وبعض هذه المفاهيم في بعض الأماكن يستخدم للدلالة على المواطن والمواطنة، وفي البعض الآخر تم استخدامها بمعانٍ أخرى وأكثر عمومية، ويمكن من بينها الإشارة إلى كلمتي «أهل» و «الناس» والكلمات ذات الصلة بها. في كثير من الحالات، تستخدم كلمة «الرعية» في نهج البلاغة، بما في ذلك تعليمات الإمام علي عليه السلام للمسؤولين الحكوميين باحترام حقوق المواطنين والأفراد في المجتمع الإسلامي. وهذه التوصيات متباينة ومتنوعة بحسب الزمان والمكان، وأبرزها الرسالة ٥٣ من نهج البلاغة والموجهة إلى مالك الأشتر النخعي. ومن جملة الحالات التي تم فيها استخدام هذه الكلمة البحوث المتعلقة بالتعبير عن الحقوق المتبادلة للحاكم والشعب ومراعاة تلك الحقوق ونتائجها، والتي يمكن الرجوع إليها على لسان الإمام علي عليه السلام في الخطبة ٢١٦. في مكان آخر من نهج البلاغة، مثل الحكمة ٢٦١، يشار إلى الرعية على أنها الأفراد المطيعون للحكومة. بالإضافة إلى هذه الكلمة التي تشمل معاني المواطن، هناك كلمات مثل أهل (خطب ١٧٢، ١٧٣، إلخ). والناس (الرسالة ٥٣ ... إلخ). كما أنها تستخدم في بعض الحالات بمعنى المواطن.

العلاقة بين الحكومة والمواطنين

من أهم جوانب الحكومة، التي تعكس مضمون المواطنة في أي مجتمع، نوع العلاقة بين الحكومة والمواطنين. كيف تتكون العلاقة بين الحكومة والمواطنين؟ وما هي المنزلة التي يتمتع بها كل منهما في نظر الآخر؟ وعلى أي أساس تقوم العلاقة بينهما؟ هذه هي إحدى القضايا المركزية في الحكومات؛ بهذه الطريقة يتم تشكيل هيكل الحكومة على نفس الأساس ويظهر السلوك الإداري في ذلك المجتمع وفقاً لنفس الأساس. يمكن أن تكون هذه العلاقة ذات اتجاه واحد أو اتجاهين (متبادلة)، ولكن الأكثر شيوعاً بين الحكومات هي العلاقة أحادية الاتجاه. أي أن العلاقة بين الحكام والمواطنين هي علاقة الحاكم بالمحكوم أو العلاقة بين

الرئيس والمرؤوس والتي ألقاها الإمام علي (ع) في حكومته. على سبيل المثال، يمكن أن نشير إلى الرسالة ٥ من نهج البلاغة، حيث قال الإمام علي (ع) بعد بيان بعض الكلمات: «لَيْسَ لَكَ أَنْ تُفْتَاتَ فِي رِعْيَةٍ».

اعتبر الإمام علي (ع) أن العلاقة بين الحكومة والمواطنين علاقة ذات اتجاهين ومتبادلة تقوم على العلاقة بين المالكين الشرعيين، وكانت كل جهوده تهدف إلى شرح هذه العلاقة ذات الاتجاهين القائمة على الحقوق المتبادلة بشكل جيد و بشكل صحيح. وقد أشار عليه السلام إلى أنه حيثما ظهر حق وجد واجب والحق والواجب ضروريان وملزمان لبعضهما البعض. يقول عليه السلام في منشأ هذا الحق وكيفية التمتع به: «تَمَّ جَعْلُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا، وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ». (الخطبة ٢١٦ من نهج البلاغة) اعتبر الإمام علي (ع) أن حقوق الناس على بعضهم البعض جزء من حق الله على الناس وتنبع من حقوقه، أي أن حق الله لا يتعارض مع حق الناس بل يتوافق معه. ثم يقول: وقد وضع الله هذه الحقوق في اتجاهات متساوية بحيث يكون بعضها سبباً للآخر ولا يلزم أي منها إلا بفرض الآخر (مكارم شيرازي ١٣٩٠: ٢٤٣/٨) كما ذكر الإمام علي (ع) في الخطبة ٢١٦ من نهج البلاغة حق الله على عباده حتى أن هذا الحق ليس من طرف واحد، وإن كان حق العباد على الله غير متناسب من بعض النواحي، إلا أن هذا الحق يتجلى في ستر التفضل. يقول عليه السلام: لو كان الحق من طرف واحد ويسير في صالح شخص واحد دون أن يكون هناك حق عليه، فهذا خاص بالله سبحانه وتعالى، ولكن الله سبحانه وتعالى قد جعل من حقه على عباده أن يطيعوه وفي المقابل يضاعف أجرهم. في القرآن الكريم ذكر أن أجر العباد نعمة من الله. يقول الله في الآية ١٧٣ من سورة النساء: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ﴾ (موسوي، ١٣٧٦: ٤٨٩/٣).

اعتبر الإمام علي (ع) أن أعظم وأهم الحقوق في أي

انتخاب الممثلين، بموجب هذه الحرية (جعفري لكرودي، ١٩٨٤: ٣١). لهذه الحرية نوعان: النوع الأول يعني أن لكل فرد من أفراد الأمة الحق في شغل أي منصب يستحقه. ينصح الإمام (ع) مالك الأشر بتوظيف الناس في الوظائف المختلفة على النحو التالي: «ثُمَّ انظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا وَلَا تُؤَاهِمُ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شَعْبِ الْجُورِ وَالْحَيَاةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ النُّبُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا». (نهج البلاغة، رسالة ٥٤). النوع الثاني من الحرية السياسية هو الحق في حرية التعبير الذي يسمح لكل الناس بالتعبير عن آرائهم دون خوف. ولإعطاء هذا الحق للناس، يطلب الإمام عليه السلام أن يتحدثوا إليه بسهولة: «فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلِّمُ بِهِ الْجَبَّارَةَ وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمَصَانِعَةِ وَلَا تَنْطُنُوا بِي اسْتِثْقَالًا فِي حَقِّ قَيْلٍ لِي وَلَا التَّمَسَّاسِ إِعْظَامِ لِنَفْسِي فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ فَلَا تُكْفُمُوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلِ». (نهج البلاغة، خطبة ٢١٦).

إحسان الحكومة للمواطنين: ويتحقق إحسان الحكومة تجاه الناس عندما تعتبرهم الحكومة من مكونات وعناصر شخصية الحكومة. في هذه الحالة، تعتبر الحكومة أفرح الناس وأحزانهم أفرحها وأحزانها وتسعى لدرء مشاكل الناس. كتب الإمام (ع) في رسالة لعثمان بن حنيف: «هَمِيهَاتُ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيُثْوِدَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعَمَةِ وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ أَوْ أَيْتٍ مِنْبَطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي وَأَكْبَادٌ حَرَّتِي». يقول عليه السلام في هذه الرسالة: «أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونَ أَسْوَأَهُمْ فِي جُسُوبَةِ الْعَيْشِ». (نهج البلاغة، رسالة ٤).

مجتمع هي مراعاة حقوق المواطنين، لأن معظم مصالح معاش الإنسان ومعاودة تدور حوله (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤/٤).

أمثلة على حقوق المواطنة في نهج البلاغة:

لحقوق المواطنة عدة أمثلة تغطي الحياة الشخصية والاجتماعية الكاملة للمواطن وتقسّم بشكل عام إلى ثلاث فئات رئيسية: الحقوق المدنية والسياسية - الاقتصادية والاجتماعية والثقافية - والحقوق قضائية، وعلى أساس قول الإمام عليه السلام هناك عدة أمثلة على هذه الحقوق:

الحقوق المدنية والسياسية

تطبق هذه الحقوق في مجال الحياة الفردية والاجتماعية وهي مجموعة من الحقوق التي يتمتع بها الإنسان بشكل طبيعي في المجال الفردي والحريات التي تجرد معناها في المجال الاجتماعي والسياسي (خسروي، ١٣٩٨: ٤١). ومن أهم الأمثلة على الحقوق المدنية والسياسية للمواطنين في نهج البلاغة:

- حق تقرير المصير: ومن وجهة النظر السياسية الشيعية، فإن الإمامة وحكم المجتمع الإسلامي منصب إلهي، والقائد والإمام يعينهما الله والرسول، لكن الناس أحرار في قبول أو رفض هذه الحكومة والولاية. بمعنى آخر، الإمامة هي مركز شرعيته إلهية وقبوله شعبي ويدركه الناس. لذلك، يشترك الناس في تقرير مصيرهم السياسي. وقد تحدث الإمام علي (ع) في بعض تعليماته عن البيعة وذكر هذا الحق. يقول عليه السلام في الخطبة الشقشقية حول كيفية مبايعة الناس له: «فَمَا رَاعَنِي إِلَّا وَالنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبِّعِ إِلَيَّ يَنْتَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وَطِئَ الْحَسَنَانَ وَشَقَّ عَطْفَائِي مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْعَنَمِ». ثم يقول في متابعة الخطبة حول سبب قبول الخلافة: «لَوْلَا حُضُورُ الْحَاضِرِ، وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ، وَمَا أَحَدَ اللَّهُ عَلَيَّ الْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارَؤُا عَلَيَّ كِبَطَّةِ ظَالِمٍ، وَلَا سَعَبِ مَظْلُومٍ».

- الحرية السياسية: يمكن للأفراد في المجتمع أن يتمتعوا بالحق في السيادة، إما بشكل مباشر أو من خلال

هذا الحق واضح تمامًا، لأنه إذا لم يكن الناس مخلصين في الولاء لحاكم المجتمع، فإنهم في الواقع لم يقبلوه كزعيم وقائد لهم ولن يصل الأمر إلى الإحسان. في حين أنه في حق الشعب على الحكومة والذي يقوم على قبول سيادته، فإن أول وأهم حق هو الإحسان المطلق للحكومة تجاه الشعب، وهو الأساس الرئيسي للعلاقة بين الإدارة والقيادة للشعب. إن الإحسان تجاه الحكومة القائمة بالحق واجب إلزامي على جميع أفراد المجتمع، تمامًا كما أن إحسان البشر تجاه أنفسهم هو واجب إلهي. (جعفري، ١٩٨٤: ١٧٩/٢)

معنى الإحسان في هذه العبارة هو الدفاع عن الحاكم في حضوره وغيابه وعدم السماح لأي شخص بالإساءة إليه بالقول، وإذا وجد خلل في عمله أو وجد أن الخطر يهدده، فعلى الشعب أن يتعاطف معه بحيث يتم إصلاح المشكلات والأوضاع. (ابن ميثم، ١٩٨٣: ١٧٩/٢)

- تلبية طلبات الحكومة من قبل المواطنين: يقول الإمام عليه السلام: «وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ». أي كلما دعوتكم، أطيعوني ولا تكونوا مثل الضعفاء العاجزين والمرضى الذين يماطلون في الاستجابة للدعوات، لأن القليل من المماطلة والكسل والتأخير قد يسبب ضررًا لا يمكن إصلاحه (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٣٤٩/٢).

- إطاعة المواطنين لأوامر الحكومة يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمَرْتُمْ» (نهج البلاغة، خطبة ٣٤). ويعبر عليه السلام عن حق آخر من الحقوق على هذا الشكل. من الممكن أن تقبل جماعة دعوة الإمام وتستجيب لدعوته، ولكن قد لا تطيعه عندما تأتي إليه فيصدر أمرًا حازمًا يحمي مصالح الأمة. لذلك فإن كلاً من طاعة الدعوة وطاعة الأمر ضروريان، ومنافع هذه الحقوق الأربعة للإمام على الأمة واضحة: (فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمَرْتُمْ). يعود إليهم مباشرة، وليس لهم منة للقيام بهذه الأشياء للإمام، لكن

- حماية الحدود وحراستها: يجب على حكومة المجتمع الإسلامي حماية الحدود الجغرافية للبلاد الإسلامية باستخدام الأدوات والتسهيلات المناسبة، لأن عدم القيام بذلك سيؤدي إلى ضعف الحكومة الإسلامية وتدميرها. قال الإمام (ع) للكوفيين حول الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية ضد الشاميين: «وَحُدُّوْا مَهْلَ الْأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِي الْإِسْلَامِ أَلَّا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُعْزَى وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى» (نهج البلاغة، خطبة ٢٣٨).

- دعم المحرومين: يجب على حكام المجتمع الإسلامي الدفاع عن المحرومين والمظلومين وحقوقهم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَّا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَقِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَعَبٍ مَظْلُومٍ لِأَلَقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَاسْقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوْلَهَا وَلَا لَفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَرْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَقْطَةِ عَنَزٍ» (نهج البلاغة، خطبة ٣).

- الولاء للحكومة الإسلامية: الولاء في البيعة حق من حقوق الحاكم العادل على المواطنين. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ». (الخطبة ٣٤ من نهج البلاغة) في هذه العبارة، يجب على الإمام عليه السلام، بناءً على الولاء القائم بين الأمة والإمام، أن يراعي مصالح الأمة في كل مكان، ويؤسس الأمن والنظام ويحارب الأعداء ويوفر ظروف التقدم والتطور، وعلى الأمة أن تقف خلف إمامها وتتصرف كذراع قوية له ولا تفعل أي شيء يخالف هذا العهد (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٣٤/٢).

- إحسان المواطنين لحاكم المجتمع الإسلامي في حضوره وغيابه: عندما ذكر الإمام (ع) حق الشعب على الحكومة في خطبة (٣٤) من نهج البلاغة، فإن إحسان الحكومة للشعب هو أول وأهم حق، ولكن في حقوق الحكومة، الناس مدينون بنفس الحق للحكومة. إن سبب الاختلاف في أهمية

الباقر عليه السلام ما هو حق الناس على الحاكم؟ فقال عليه السلام: «يقسم بينهم بالسوية ويعدل في الرعية». (الكليني، ١٣٦٥: ٤٥/١) وفي رواية أخرى قال الإمام علي (ع): «العدل جنة الدول» (تميمي أمدي، ١٩٨٧: ٣٤٠).

وروي عن نبي الإسلام الكريم أنه قال: «زين الله السماء بثلاثة: الشمس والقمر والكواكب وزين الأرض بثلاثة: العلماء والمطر والسلطان العادل». والواقع أن مراعاة الإنصاف والعدالة بين المواطنين تعزز دعائم الدولة، حيث قيل: «إذا لم يعمر الملك ملكه بإنصاف الرعية خرب ملكه بعضيان الرعية» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٩٨/١١).

تعزيز العلم والمعرفة: من خلال إنشاء مراكز تعليمية وبحثية، يجب على حكومة المجتمع الإسلامي أن توفر للمواطنين الظروف الملائمة للتعليم المناسب والقضاء على الجهل وتعليم العلوم والتكنولوجيا في مختلف المجالات والتخصصات، وتقودهم إلى ذروة العلم والمعرفة. يقول الإمام عليه السلام في هذا الصدد: «تعليمكم كيلا تجهلوا» (نهج البلاغة، خطبة ٣٤). وفي رواية أخرى قال عليه السلام: «علَى الإمام أن يعلم أهل ولايته حدود الإسلام والإيمان» (تميمي أمدي، ١٩٨٧: ٣٤١).

الاهتمام بتربية وصقل الأخلاق ومحاربة الفساد الأخلاقي: وبعبارة: «وتأديبكم كيما تعلموا»، تطرق عليه السلام لبيان هذا الحق. يعني عليه السلام أن المواطنين يجب أن يكونوا على دراية بآثار الفضائل والأضرار التي تسببها الرذائل من أجل تنفيذ الفضائل في أنفسهم ومحاربة الرذائل (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٣٤٧/٢).

منح الأمل للمواطنين: يجب على حاكم المجتمع الإسلامي أن يضيء نور الأمل في نفوس المواطنين في ظل الفتنة والحن والضلال والاضطراب، وأن يحرر الناس من اليأس والانقسام والحيرة. يقول الإمام (ع) في وصف الرسول الكريم (ص) بأنه حاكم المجتمع الإسلامي وزعيمه: «طَيِّبٌ دَوَّارٌ بِطَيْبِهِ قَدْ

الإمام عليه السلام يتفضل عليهم بالاستفادة من هذه الحقوق لضمان أمنهم وازدهارهم وحررتهم وشرفهم (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٣٤٩/٢).

وفي رواية يقول أبو حمزة، سألت الإمام الباقر عليه السلام: «ما حق الامام على الناس؟ فقال عليه السلام:

حقه عليهم أن يسمعوا له ويطيعوه». وقد أشار الإمام علي (ع) إلى هذا الحق بمزيد من التفصيل في الخطبة ٢١٦ حيث قال: «فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِي عَلَيَّكُمْ حَقًّا بِوَلَايَةِ أَمْرِكُمْ» وهذا يعني أن حقي عليكم هو حق الطاعة، لأن الله تعالى جعلني ولياً لكم، وهي منزلة الإمامة والولاية والملكية ووجوب الطاعة. يقول تعالى في الآية ٥٩ من سورة النساء: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (هاشمي خويي، ١٩٧٩: ٨٤/١٤).

وقد اعتبر بعض شارحي نهج البلاغة أن هذه الحقوق المتبادلة المذكورة في الخطبة رقم ٣٤ من نهج البلاغة تخص الإمام العادل المعين من قبل الله وليس كل الحكام، معتبرين أن السبب في ذلك هو قول الإمام: «إِنَّ لِي عَلَيَّكُمْ حَقًّا» (نقوي قايني خراساني، د.ت: ٨٤/٦). ولكن يبدو أن ما ورد في هذا البيان المبارك للإمام عليه السلام خطة أعدت لكل أمة وكل قائد سواء كان من عند الله تعالى أو على مصداق: «لابد للناس من أمير بر أو فاجر». يجب على كل أمير يصل إلى السلطة في أي مجتمع، إذا أراد العمل والتقدم، أن يحترم هذه الحقوق الأربعة، ويجب على كل أمة، إذا أرادت الاستفادة من وجود أميرها، أن تطبق المبادئ الأربعة. والحقيقة أن ما جاء في هذه الخطبة هدى وهداية لحكم العقل والمنطق (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٣٤٩/٢).

الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

يجب أن يتمتع الأفراد في المجتمع بمجموعة من الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية من أجل تحقيق النظام والأمن والنمو وشخصية الإنسان. تتبلور هذه الحقوق في أشكال مختلفة يشار إليها بما يلي:

– مراعاة العدالة بين المواطنين في توزيع الأموال العامة: يقول الإمام (ع) في الخطبة ٣٤ من نهج البلاغة: «وَتَوْفِيرٌ فَبَيْنَكُمْ عَلَيَّكُمْ». وسأل أبو حمزة الإمام

ذنوب المسيء ليتوب ويرجع عن غيبه وتآلفهم جميعاً بالإحسان والإنصاف» (ابن شعبه الحراني، ١٤٠٤: ٣١٩).

- اختيار الصالحين للمناصب: نظراً لأن مسؤولي الحكومة هم رواد حماية الحقوق المدنية، فيجب تعيين الأشخاص الأكثر كفاءة والتزاماً لهذا الغرض، لأنه بخلاف ذلك سيؤدي إلى عدم كفاءة الحكومة وعدم تنفيذ الحقوق المدنية. يخاطب الإمام علي عليه السلام مالك الأشرار قائلاً: «ثُمَّ أَنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمَلْهُمْ اخْتِيارًا وَلَا تُؤْهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شَعْبِ الْجُورِ وَالْحِيَانَةِ وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِيتِ وَالْحِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا وَأَصْحُ أَعْرَاضًا وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقًا وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأُرْزَاقَ فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ وَغِيٍّ لَهُمْ عَنِ تَنَاوُلِ مَا تَحْتِ أَيْدِيهِمْ وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ وَابْتَعَثَ الْغُبُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدُودَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣).

- يجب أن تكون الحكومة والسيادة متاحة للمواطنين: ويشير الإمام علي (ع) في جزء من المعاهدة إلى أنه لا ينبغي أن يخفي الحاكم نفسه عن الناس، فإذا اقتضت الظروف أن يختبئ عنهم، فلا يجب أن تطول مدة الاختفاء، يقول الإمام علي عليه السلام: «فَلَا تُطَوِّلَنَّ اخْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ اخْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضَّبِيقِ وَقَلَّةٌ عِلْمٌ بِالْأُمُورِ». وقد لوحظ عبر التاريخ أن بلاط السلطان والأشخاص المرافقين له يحيطون بالحاكم ولا يرسلون له إلا الأخبار التي ترضيه أو تنفع الأشخاص من حوله، مما يبعده عما يحدث في البلاد، وهذا الوضع خطير جدا بالنسبة لإدارة البلاد. لكن عندما يكون على تواصل مع الناس في اللقاءات، فسوف تنقل إليه حقائق الفئة الأولى،

أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبِ عُمَى وَأَذَانِ صَمٍّ وَاللِّسَنَةِ بُكُمْ مُتَتَبِعٍ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْعُقْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيَرَةِ».

- كتمان الأسرار وستر عيوب المواطنين: على حكام المجتمع الإسلامي الحفاظ على كرامة الناس والتستر على عيوبهم، ومنع هتك حرمتهم، ولكن إذا ظهرت العيوب وجب تطهيرها. يقول أمير المؤمنين عليه السلام لملك الأشرار: «وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ أَطْلُبُهُمْ لِمَعَايِبِ النَّاسِ فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣).

- العطف على المواطنين: يخاطب الإمام علي (ع) في رسالته مالك الأشرار مذكراً إياه بالرحمة والمحبة للمواطنين، حيث يقول: «وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِذَا أَخَذَ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا نَظِيرُ لَكَ فِي الْخَلْقِ» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). يمكن للعطف على الناس أن يأسر القلوب ويخلق ارتباطاً عاطفياً عميقاً يؤدي إلى التقدم في جميع الأمور وحل مشاكل البلاد. وكما يقول الحكماء: «قلوب الرعية خزائن وإليها فما أودعه فيها وجدته» (ابن أبي الحديد، ١٣٣٧: ٩٥/١١).

- تجاهل أخطاء المواطنين وزلاتهم: والشيء الآخر الذي يجب على حكومة المجتمع الإسلامي مراعاته فيما يتعلق بالمواطنين هو تجاهل أخطاء الناس وزلاتهم والإحسان إلى المحسنين. يقول الإمام علي عليه السلام لملك الأشرار: «فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ» (نهج البلاغة، رسالة ٥٣). كما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ثلاثة تجب على السلطان للخاصة والعامة: مكافأة المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبة فيه وتغمد

وأولئك قليل». (نهج البلاغة، رسالة ٥٣)
 اعتبر الإمام علي (ع) أن تنفيذ الشرائع والحدود من واجبات الحاكم الإسلامي فقال: «و تقام المعطله من حدودك» وقال في خطبة أخرى: «انه ليس عكس الامام الا... و اقامه الحدود على مستحقها» (نهج البلاغة، خطبة ٠٤). أما الخطوات التي اتخذها عليه السلام لثبيت الحدود الإلهية في حكمه فهي: إقامة المحاكمة الإسلامية وتنظيم محكمة القضاء الإسلامي، وتدوين علوم الفقه وقوانين المحاكم لأول مرة لخلق وحدة الإجراءات في المحاكم الإسلامية، والنشر العلمي لمبادئ المحاكمة، وإنشاء نظام تعليمي قضائي لأول مرة، والإشراف الجاد على القضاة والمحاكم والتفتيش (مشايخ فريديني، ٣٥ إلى ٣٨).

نتائج مراعاة حقوق المواطنة

يشير الإمام علي (ع) في الخطبة ٢١٦ من نهج البلاغة إلى أنه: «ثُمَّ جَعَلَ . سُبْحَانَهُ . مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا أَفْتَرَضَهَا لِيَعُضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضِ». لأن حق الله طاعته، وأداء هذه الحقوق هو طاعة لله كذلك، وحق وواجب إلهي:
 ١- حق الوالدين على الولد وبالعكس. ٢- حق الزوج والزوجة على بعضهما البعض. ٣- حق الحاكم والقائد والخدام والمطيع والرعية على بعضهم البعض (ابن ميثم، ١٩٨٣م: ٤٣/٤).

ومن هذه الحقوق الإلهية الواجبة، حق الدولة على المواطنين، وحق المواطنين على الدولة وهو من الحقوق الكبرى، لأن انسجام المجتمع البشري وصالحه يكمن في مراعاة هذه الحقوق، لكن مراعاة الحقوق الأخرى تؤدي إلى إعمال حقوق الأفراد. (حسيني شيرازي، د.ت: ٣٣٤/٣) وتتمثل مزاياها وفوائدها في الآتي:

- إذا قام كل من الطرفين بواجبه، تنشأ الألفة والمودة بينهما: (فجعلها نظاما لا لفتحهم). تشير عبارة الإمام عليه الصلاة والسلام إلى الآثار المادية والظاهرية لمراعاة هذه الحقوق المتبادلة (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٨/٢٤٤). بل إن أعظم هدف للشرعية هو خلق العطف والمودة، والغرض من جمع الناس للصلاة اليومية في المساجد ومرة أسبوعياً في أيام

حتى خيانة من حوله وظلمهم ستتكشف. (مكارم شيرازي، ٢٠١١: ٩١/١١) ويتابع عليه السلام قائلاً: «وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا، فَلَا تُطَوَّلَنَّ اخْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ اخْتِجَابَ الْوَلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنْ الضَّبْقِ، وَقَلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ، وَالِاخْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا اخْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَضَعُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبَحُ الْحَسَنُ، وَيَخْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُثَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ». (نهج البلاغة، رسالة ٥٣) وفي الرسالة ٧١ إلى منذر بن جارود والرسالة ١٨ إلى عبد الله بن عباس، والي البصرة، يؤكد الإمام (ع) أنه ليس من المهم فقط الاستماع إلى الكلمات في التواصل المباشر مع الناس، ولكن أيضاً معالجة المشاكل التي يعبرون عنهم.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «مَنْ تَوَلَّى أَمْرًا مِنْ أُمُورِ النَّاسِ فَعَدَلَ وَفَتَحَ بَابَهُ وَرَفَعَ سِتْرَهُ وَ نَظَرَ فِي أُمُورِ النَّاسِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ أَنْ يُؤْمِنَ رَوْعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ» (الصدوق، ١٩٨٣م: ٢٤٥).

الحقوق القضائية

يعتمد تحقيق حقوق المواطنين وإقامة العدل على وجود محاكم تنفيذية مختصة تحافظ على العدالة الاجتماعية في المجتمع من خلال مراعاة المبادئ القضائية الصحيحة. إن حرص الإسلام على إقامة العدل والقسط ينبع من دقة هذه الشريعة في اختيار القاضي. يخاطب الإمام علي عليه السلام مالك الأشتر قائلاً: «ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَلَا تَمَّجُّكُهُ الْحُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الرِّزَّةِ، وَلَا يَخْصُرَ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَنِي بِأَدْنَى فِهِمْ دُونَ أَفْصَاهُ، وَأَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمِرْجَعَةِ الْخِصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ،

- الجمعة ومرتين في السنة في عيد الفطر وعيد الأضحى هو إيجاد العطف والمودة بين المواطنين. من ناحية أخرى، فإن العمل بموجب الحق وطاعة الحكام العادلين هو من أسباب الأُنس والألفة والمودة والمحبة في سبيل الله، وقد أدى ذلك إلى وحدة الناس وتضامنهم في المجتمع، حيث يدركون المصالح والمفاسد ويعرفون ويتصرفون وفقاً لتلك المعرفة (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤٤/٤). كما يؤكد القرآن الكريم على الوحدة والتضامن: «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (آل عمران/١٠٣). وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم ياخذ الشاه القاصيه و الناحيه فاياكم و الشعاب و عليكم بالجماعه و العامه و المساجد». (السيوطي، ١٤٠١: ٣٠٩/١)
- يقول أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً: «قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِيَمِّ فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَ أَوْتَهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنْفِ عِزِّ غَالِبٍ، وَ تَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي دُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ، فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ وَ مُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِينَ، يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ سَكَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ وَ يُضَوِّنُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُخْضِعُهَا فِيهِمْ، لَا تُعْمَرُ هُمْ فَنَاءً وَلَا تُفْرَعُ هُمْ صَفَاءً» (نهج البلاغة، خطبة ١٩٢). ومضمون هذه العبارة النبوية أن الوحدة السياسية تقوم على أن القائد العادل نعمة ولا يعرف أحد قيمتها، لذا فإن التقسيم والانفصال إلى فئات هو من عوامل الوقوع في فخ الشيطان.
- جعل الله احترام حقوق المواطنة مصدر فخر واعتزاز للدين والمسلمين. من الواضح أن مراعاة الحقوق ووجود المحبة ستؤدي إلى العظمة والقوة وستكون من عوامل التغلب على الأعداء وهزيمتهم وتعزيز مكانة الدين واحترامه (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤٤/٤؛ حسيني شيرازي، د.ت: ٢٣٥/٣).
- يؤدي احترام حقوق المواطنة إلى إرساء الطرق والأساليب الدينية وإقامة العدل في المجتمع (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤٤/٤).
- وتبعث ممارسة هذه الحقوق على تطبيق سنة النبي صلى الله عليه وسلم دون تحريف أو تغيير (مغنية، ١٩٧٩: ٢٧١/٣).
- سوف يتم إصلاح الزمن، أي أن الإمام عليه السلام يعني إصلاح أهل الزمان، وأنهم سيعيشون في راحة وفي نور العدل، ولن يصيبهم ظلم. سيتم تطبيق أحكام الشريعة بشكل كامل ولن تضيع أي قدرة حق ضعيف، لكن كل شخص سيحصل على حقه فقط (موسوي، ١٩٩٧: ٤٩٩/٣).
- كما سيزداد الأمل في بقاء تلك الحكومة، وعلى العكس من ذلك، سيتحول جشع الأعداء وأملهم في تدمير وفساد الحكومة إلى يأس (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤٤/٤).
- عواقب عدم مراعاة حقوق المواطنة:**
- في جزء من خطبة ٢١٦، ذكر الإمام عليه السلام آثار إساءة الحكومة والمواطنين لحقوق بعضهم البعض، وذكر ما يلي:
- الاختلاف في الرأي والمعتقدات، وهو ما يُفسَّر على أنه اختلاف في الكلام، لأن الاختلاف في المعتقدات يسبب اختلافات في الكلام ويؤدي إلى ظهور طوائف مختلفة، بينما أشار الإمام (ع) وهو يدعو الجميع إلى نعمة الوحدة والأخوة العظيمة وأخطار الفتنة والانقسام والانفصال عن المجتمع، ويقول: «وَالزُّمُومَا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّدَادَ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّدَادَ مِنَ الْعَنَمِ لِلذَّئْبِ» (نهج البلاغة، خطبة ١٢٧). وقال في الخطبة ١٧٦: «فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكَرَّهُونَ مِنَ الْحَقِّ حَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ». هذا ليس مجرد تعبير عن التجربة والتاريخ، بل سنة إلهية. لأنه في هذه الجملة، بالإضافة إلى الماضي، يعلن الإمام أيضاً عن المستقبل الذي لن يصل إليه البشر أبداً ولن يصلوا

حتى عن جزء يسير منها بحمده وشكره. ثم ينصح الحكام أنه بغض النظر عن مدى قوة عقلهم ووفرة معرفتهم وخبرتهم وذكائهم وغناهم عن مساعدة الأفراد، فيجب إشراك الجميع في الحكومة وطلب المساعدة منهم. ثم يحير الناس أنهم على مستوى من العلم والمعرفة والعمر، فلا يجب أن يفصلوا أنفسهم عن المشاركة في إدارة المجتمع. وبهذه الطريقة يجب على الجميع التكاتف والاعتماد على عنصر التقوى، لخلق حكومة ترضى الناس والخالق (مكارم شيرازي، ١٩٩٩: ٢٥٥/٨).

الخاتمة والاستنتاجات

من القضايا المهمة التي تناولها الإمام في العبارات الفريدة في نهج البلاغة هي حقوق المواطن والعلاقة بين الحكومة والمواطنين. يعتبر الإمام (ع) أن العلاقة بين الحكومة والمواطنين علاقة متبادلة وذات اتجاهين، وحيثما ينشأ حق سيكون هناك التزام. في الواقع، الحقوق والواجبات ضرورية ومتلازمة وليس هناك حق لأي شخص دون أن يترتب عليه التزام. فتعد حقوق المواطنة مرتباً من واجبات ومسؤوليات المواطنين تجاه بعضهم البعض، والمدينة والحكومة أو السلطات الحاكمة، بالإضافة إلى الحقوق والامتيازات التي تقع على عاتق مديري المدينة أو الحكومة أو السلطات الحاكمة بشكل عام. مجموعة هذه الحقوق والمسؤوليات تسمى الحقوق المدنية. وفي دستور جمهورية إيران الإسلامية، تم ذكر حقوق الشعب المواطنين. في ٢٣ أصلاً، حيث ينظر المشرع في حقوق المواطنة ويأخذها بعين الاعتبار وهي مقسمة إلى ٣ فئات: الحقوق المدنية والسياسية - الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحقوق القضائية، وأهم الأمثلة على ذلك تستند إلى كلام الإمام عليه السلام. ومن أهم الأمثلة على الحقوق المدنية والسياسية ما يلي: الحق في تقرير المصير، والحرية السياسية، والإحسان، وحماية الحدود، وحماية المحرومين، والولاء للحكومة الإسلامية، والطاعة لأوامر المجتمع الإسلامي الحاكمة. وأهم الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هي: تحقيق العدالة، وتعزيز المعرفة، والاهتمام

أبداً إلى أي مكانة بالاختلاف، وسيكون هذا وفقاً لسنة الله.

- تنكشف علامات الظلم والجور وأعراضه، لأنه في غياب أسباب العدل وانعدام العدالة فلا مفر من ظهور الظلم (ابن ميثم، ١٩٨٣: ٤٥/٤).
- يزداد الفساد والدمار في الدين، لأن آراء الناس لا تتسجم مع رأي القائد العادل الذي يجمع الأصوات، وكل شخص يسعى وراء رغباته الخاصة، مما يؤدي إلى هدم الدين ومعارضته.
- يتخلى الحاكم عن مسارات السنة والعادات الدينية الواضحة بسبب ظلمه، ويتخلى عن الناس بسبب اضطراب نظامهم الفكري.
- فالأمور تتم على أساس الرغبات والشهوات الجسدية، مما يؤدي إلى تعطيل أحكام الشريعة.
- تزداد الأمراض الأخلاقية وممارسة العادات القبيحة وتظهر الأشكال الحقيقية للمنكر (ابن ميثم، ١٩٨٤، ج ٤، ص ٤٥؛ هاشمي خويي، ١٩٧٩: ١٢٨/١٤).
- وفي تلك الظروف لا يعود زوال الحق مهماً بالنسبة لأحد مهما كان كبيراً، وسبب ذلك هو اعتياد الناس على انتهاك الحقوق وإلغاء الشرائع الإلهية، ومن ناحية أخرى، إذا ارتكبت أكبر الخطايا والظلم، فلا يوجد شعور بالمسؤولية.
- يصبح الأختيار أذلاء لأن الحق ينتهك ولأنهم أهل الحق يصبحون أذلاء.
- سيكتسب الأشرار العزة والقيمة بعد أن كانوا أذلاء في حكومة الحق لأن أهل الباطل سيكتسبون العزة والقيمة بنشر الباطل وإزهاق الحق.
- سيواجه الناس أعظم العقوبات بسبب خروجهم عن طاعة الله وعبادته.
- في نهاية هذا الجزء من الخطبة ٢١٦، يظهر الإمام عليه السلام حكومة الشعب بأفضل صورة. أولاً، انتقل إلى العنصر المعنوي للحكومة وذكر الجميع بأنهم منغمسون جداً في بركات الله تعالى لدرجة أنه مهما حاولوا جاهدين طاعته، فلا يمكنهم التعويض

وتقليل البدع، ورفع لواء العدل في البلاد الإسلامية، وإحياء السنن، وإصلاح المجتمع، والأمل في بقاء الحكومة، وخيبة أمل الأعداء. كما يمكن أن يكون لعدم الامتثال لهذه الحقوق آثار ضارة مثل: تباين الكلام والآراء والظلم والبدعة والخداع والتخلي عن الصراط المستقيم والعمل حسب الأهواء والرغبات وتعطيل الوصايا الإلهية وزيادة الرذائل الأخلاقية في المجتمع البشري.

بتربية الأخلاق وصلها، ومنح الأمل للمواطنين، وحفظ الأسرار وستر عيوب الناس، ومحبة المواطنين، وتجاهل الأخطاء والزلات، وعدم إخفاء الحكومة عن متناول المواطنين. وأما في مجال الحقوق القضائية، فيجب على الحاكم إنشاء محاكم سليمة لإنفاذ حقوق المواطنين واتخاذ الإجراءات اللازمة لإقامة الحدود الإلهية. فمراعاة الحقوق المدنية تؤدي إلى العزة والقوة، وتمهيد الطريق للدين،

المصادر

دهخدا، علي أكبر (١٣٧٣). قاموس. طهران: مطبعة جامعة طهران.

زيددي، محمد مرتضى (١٤٠٦). تاج العروس من جواهر القاموس. بيروت: دارمكتبة الحياة.

سيوطي، جلال الدين (١٤٠١). الجامع الصغير في احاديث البشير النذير. بيروت: دارالفكر.

شريف طرازكوهي، حسين (٢٠١٣). حقوق المواطنة. طهران: منشورات ميزان.

صدوق، محمد بن علي بن بابويه (١٣٦٢). الامالي. طهران: المكتبة الإسلامية.

غروي اصفهاني (كمباني)، محمد حسين (١٤٢٥). حاشية المكاسب. قم: اساس العلم.

غلامي نيا، عبدالحسين. أثر الأنثروبولوجيا على أخلاقيات المواطنة. المجلة الفصلية للأنثروبولوجيا الدينية (الدين والسياسة). مجمع شهيد محلاتي التعليمي (٢٠٠٩). رقم ٢١ و ٢٢.

فرهيخته، شمس الدين (١٣٧٧). القاموس المتفقه (الكلمات والتعبيرات السياسية والقانونية). طهران: زرین.

كاتوزيان، ناصر (١٣٧٥). مدخل إلى القانون. طهران: شركة النشر.

كليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب (١٣٦٥). أصول الكافي. طهران: دار الكتب الإسلامية.

مشايخ فريدي، محمد حسين (١٣٦٦). نظرات سياسية في نهج البلاغة. طهران: مؤسسة نهج البلاغة.

مصباح يزدي، محمد تقی (١٣٨٠). نظرية الشريعة الإسلامية. قم: معهد الإمام الخميني التربوي والبحثي.

مصطفى و إبراهيم و آخرون (د.ت). المعجم الوسيط. طهران: المكتبة العلمية.

ابن أبي الحديد، عزالدين ابوحامد (١٣٣٧). شرح نهج البلاغة. قم: كتابخانه آيت الله مرعشي.

ابن شعبه الحراني، حسن ابن علي (١٣٦٣). تحف العقول عن آل رسول (ص). قم: موسسه انتشارات اسلامي.

ابن منظور، ابوالفضل جمال الدين (١٤٠٨). لسان العرب. بيروت: دار احياء التراث العربي.

ابن ميثم، ميثم بن علي (١٣٦٢). شرح نهج البلاغة. تهران: دفتر نشر الكتاب.

إمامي حسن (١٣٧٤). حقوق مدنيه. طهران: مكتبة إسلامية.

أنصاري قمي، محمد علي (د.ت). شرح نهج البلاغة المنظوم. د.م.

أنصاري، مرتضى (١٤١٠). كتاب المكاسب. بيروت: النعمان.

أنصاريان، علي (١٣٦٦). شرح نهج البلاغة المقتطف من بحار الانوار. طهران: هيئة الطباعة والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

جعفري، محمد تقی (١٣٦٣). ترجمة و تفسير نهج البلاغة. طهران: دار النشر الإسلامية.

جعفري لانجودي، محمد جعفر (١٣٩٠). مبسوط المصطلحات القانونية. طهران: كنز المعرفة.

القانونية. طهران: كنز المعرفة. (١٣٦٨). المصطلحات القانونية. طهران: كنز المعرفة.

جوهری، اسماعيل بن حماد (١٤٠٧). الصحاح. بيروت: دارالملايين.

حسيني شيرازي، سيد محمد (د.ت). توضيح نهج البلاغة. طهران: دار تراث الشيعة.

خسروي، حسن (١٣٨٨). حقوق المواطنة. طهران: مطبعة جامعة بيام نور.

موسوي، سيدعباس (١٣٧٦). شرح نهج البلاغة. بيروت: دار الرسول الاكرم.
نقوي قايبي خراساني، سيدمحمدتقي (د.ت). مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة. طهران: مكتبة المصطفوي.
الهاشمي خويي، ميرزا حبيب الله (١٣٥٨). منهج البراعة في شرح نهج البلاغة. طهران: مكتبة الاسلامية.
يزدي (طباطبايي)، سيدمحمد كاظم (١٣٧٨). حاشية كتاب المكاسب. طهران: دارالمعارف الاسلامية.

مغنية، محمدجواد. (١٣٥٨). في ظلال نهج البلاغة. بيروت: دار الملايين.
مكارم شيرازي، ناصر (١٣٩٠). رسالة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). قم: منشورات الإمام علي بن أبي طالب.
موسوي الخميني، سيد روح الله (١٤٢١). كتاب البيع. طهران: معهد تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره.

حقوق شهروندی در نهج البلاغه با تکیه بر خطبه ۲۱۶

علی رضا پوربافرانی*

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۰۶/۱۱

تاریخ دریافت: ۱۳۹۹/۱۰/۱۸

استادیار گروه فقه و مبانی حقوق اسلامی، دانشگاه پیام نور، تهران، ایران

چکیده

در پژوهش حاضر که به روش توصیفی و تحلیلی انجام شده، حقوق شهروندی آمیخته‌ای است از وظایف و مسئولیت‌های شهروندان در قبال یکدیگر، شهر و حکومت یا قوای حاکم و همچنین حقوق و امتیازاتی که وظیفه تأمین آن حقوق بر عهده مدیران شهری، دولت یا بطورکلی، قوای حاکم است. براساس آموزه‌های نهج البلاغه حقوق حاکم یا حکومت و شهروندان، متقابل است. در قانون اساسی جمهوری اسلامی ایران نیز حقوق ملت در ۲۳ اصل ذکر شده که در آن حقوق شهروندی مورد توجه قانونگذار قرار گرفته است. آن حقوق به سه دسته: حقوق مدنی و سیاسی - حقوق اقتصادی، اجتماعی و فرهنگی - حقوق قضایی تقسیم می‌شود که اهم مصادیق این حقوق با استناد به کلام امام علی علیه السلام بیان شده است که می‌توان به حق تعیین سرنوشت، آزادی سیاسی، وفاداری به حاکم به عنوان مصادیق حقوق مدنی و سیاسی و به اجرای عدالت، دانش‌افزایی و توجه به پرورش به عنوان مصادیق حقوق اقتصادی، اجتماعی و فرهنگی اشاره کرد. در بخش حقوق قضایی، حاکم باید برای استیفای حقوق شهروندان دادگاه‌های سالم ایجاد کند و اقدامات لازم را برای اقامه حدود الهی انجام دهد. رعایت حقوق شهروندی می‌تواند موجب عزت و قدرت حکومت اسلامی، ایجاد عدالت در جامعه و ... شود و عدم رعایت حقوق مزبور، می‌تواند آثار زیانباری را به دنبال داشته باشد.

کلیدواژه‌ها: حقوق شهروندی، شهروندان، حکومت، امام علی علیه السلام، نهج البلاغه.